(التعريف والنقد)

حول الراهنامج

والأرجوزة المِعْلَقية*

الدكتور صلاح كزارة

شرح أستاذنا الدكتور شاكر الفحام ـ حفظه الله ـ كلمة «الراهنامج» نقلاً عن القاموس المحيط وشرحه تاج العروس في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (م٦٨/ج١ ،١٩٩٣،ص٧٥-٧٦)، وأورد جملة من الشواهد على استعمال ابن ماجد لمقلوب الكلمة: «الرهمانج»، وذلك في تعقيبه على مقالة الأستاذ إبراهيم خوري عن «الربّان العربي أحمد بن ماجد ومؤلفاته» المنشورة في الجزء نفسه من المجلة المذكورة (ص٥٩-٧٤).

ولكنني أودّ الإشارة إلى ماجاء في كتاب المستشرق الروسي كراتشكوفسكي المعروف بتاريخ الأدب الجغرافي العربي (ص٥٦٤،ط١=ص٦١١،ط٢) من «أنه وُجد في وسط ملاحي الخليج الفارسي والمحيط الهندي والبحر الأحمر إلى جانب هذه القصص والأسفار أدب المرشدات البحرية، وهي ماأطلق عليه اسم «الراهنامج» أو «الرهماني»، وكانت تحوي خبرة الربابنة في جميع المسائل الملاحية بما في ذلك دون ريب

---

* [قرأتُ الكلمة الممتعة التي حبّرها الصديق الدكتور صلاح كزارة، وبدا لي من المستحسن أن أضم إليها تعليقات تزيد في توثيق النص، أو تفصل إشاراته. وجعلتها لحقاً في ختام كلمته/د. شاكر الفحام].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مرشدات الطرق البحرية Routier».

ويذكر جورج حوراني في كتابه: العرب والملاحة في المحيط الهندي (ص٢٧٨-٢٧٩) أن دفاتر الإرشادات البحرية التي كان يطلق عليها اسم رهماني تضم الجداول الفلكية وخطوط العرض ومعلومات عن الرياح والسواحل والشِّعاب وكل مايحتاج الربان إلى معرفته، كما يشير آدم ميتز في كتابه: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٢/١٠) نقلاً عن ابن ماجد في كتابه: الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (مخطوط باريس ٢٢٩٢، الورقة٣ب) إلى أن المعلم خواشير بن يوسف بن صلاح الأركي الذي سافر حوالي عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م في مركب دَبَوْكُرَه الهندي وطاف بسواحل إفريقية الجنوبية كان أول من وضع أصول هذه الرهمانيات[١].

أمّا أول من أشار إليها فهو المقدسي في آخر القرن العاشر الميلادي، وذلك حيث يقول: « وصاحبت مشايخ فيه [أي: في المحيط الهندي] ولدوا ونشأوا من ربّانيين[٢] وأشاتمة[٣]...ووكلاء وتجار، ورأيتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده، ورأيت معهم دفاتر يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها»[٤] ا.هـ

(نقلاً عن حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي (ص٢٧٩-٢٨٠)، وانظر تعليق المترجم على كلمة أشاتمة في الهامش).

وقد نقل كراتشكوفسكي (ص٥٦٧، ط١=٦١٥، ط٢) تأصيل كلمة «راهنامج» عن المستشرق الفرنسي فران الذي «وضّح بالتفصيل الأشكال المختلفة التي ورد فيها هذا اللفظ وبيّن أصلها. وهو يرتفع أساساً إلى الفارسية الوسطى (البهلوية) «راهنمك» التي تحولت في الفارسية الحديثة إلى «راهنامه». أمّا في الوسط العربي فإلى جانب الشكل العادي «راهنامج»

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقابلنا أيضاً الشكل المقلوب « رهمانج » وجمعه «رهمانجات »، والشكل الذي تطورعنه فيما بعد وهو «رهماني»، بل وحتّى أيضاً «رماني»(*). وجميع هذه الألفاظ كان يقصد بها في عهد ابن ماجد ضربٌ من المرشدات البحرية أشبه بالبورتولانات Portulns».

وجلي من هذا التأصيل أن استعمال الشكل المقلوب للكلمة «رهمانج» كان شائعاً ومستعملاً مع الأشكال الأخرى عند المؤلفين في زمن ابن ماجد. وبهذا تنتفي تلك الغرابة التي رآها أستاذنا الدكتور شاكر في استعمال ابن ماجد لهذا الشكل المقلوب الذي ساق خمسة شواهد للتدليل عليه، يمكن إضافة شاهدين آخرين إليها من كلام ابن ماجد نفسه، جاء أولهما في صدر الطبعة الروسية لكتاب ابن ماجد «ثلاث رهمانجات المجهولة» (كذا)، وورد ثانيهما في البيت (٧٢٢) من الأرجوزة الأولى المسماة «السّفالية» في الكتاب نفسه (ص٤٨):

كذلك في رهمانج المقدما ليس له اليوم يبادر العلما(*)

وكتاب ابن ماجد هذا طبعه المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي عام ١٩٥٧م بالتصوير الشمسي عن النسخة الوحيدة المحفوظة بمكتبة معهد الاستشراق التابع للمجمع نفسه في لينينغراد. وقد قدّم له وترجمه إلى الروسية وعلق عليه المستشرق تيودور شوموفسكي، ثم حققه وترجم مقدمة

(*) قلت: كذا ورد اللفظ في الترجمة العربية لكتاب كراتشكوفسكي في الطبعتين الأولى والثانية. وأخشى أن يكون هذا وهماً من المترجم، ولعل الصواب هو: «رحماني» بالحاء المهملة. فقد ذكر الباحث حسن صالح شهاب في مقدمة تحقيقه للنونية الكبرى لابن ماجد (ص٨) أنه قارن بشيء من التفصيل في كتابه «علوم العرب البحرية» بين محتويات القديم والحديث من المخطوطات البحرية أو (الرهمانيات) وتسمى عند المتأخرين (الرحمانيات).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شوموفسكي وتعليقاته إلى العربية الدكتور محمد منير مرسي، ونشره في القاهرة تحت عنوان: « ثلاث أزهار في معرفة البحار » لأحمد بن ماجد ملاح فاسكودي جاما، عام ١٩٦٩م.

أمّا الأرجوزة المِعْلَقية فقد وردت خطأً باسم (الملعقية) ـ أي بتقديم اللام على العين ـ في مقالة الأستاذ خوري المشار إليها (ص٧٠)، وكذلك في مقالة أخرى له عن ابن ماجد ومؤلفاته منشورة في مجلة التراث العربي بدمشق (العدد٢١، تشرين الأول ١٩٨٥،ص١٧٣).على أن الاسم جاء صحيحاً في مقدمة تحقيق الأستاذ خوري لكتاب ابن ماجد «الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» (ص9)، وفي:ابن ماجد الملاح الفلكي للدكتور محمد حسن العيدروس(١/١٦٢).

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها: تراثنا بين ماض وحاضر(ص٩٧) أن الأرجوزة المعلقية ـ بتقديم العين على اللام ـ نسبة إلى [أبي] مِعْلَق السّعدي، جدّ ابن ماجد . وقد ذكره الأستاذ خوري في مقالته بمجلة المجمع (ص٦١) وضبط الاسم بكسر الميم وفسّره بقوله: «قدح ضخم يصنع من جلد الإبل يُملأ بالماء أو الحليب للشرب، ويُعلق على ظهر الراحلة عند قطع القوافل الفيافي».

ولكنّ الباحث حسن صالح شهاب يرى، في مقدمة تحقيقه للنونية الكبري ص٢٨ وفي تعليقه الأول على الصفحة ١٢٨ من الكتاب(٦)، أن المِعلقية نسبة إلى مدينة (ملقة) التي تسمى أيضاً (معلقة)! ولكنه لم يذكر في الموضعين أي مرجع أو مستند أو دليل على ماذهب إليه(٧).

وهذه الأرجوزة المعلقية هي الثانية في كتاب ابن ماجد: (ثلاث أزهار في معرفة البحار ص٥٣ ـ ٦٥)، وعدّتها (٢٧٣) بيت، وجاء في صدرها:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« الأرجوزة الثانية المسماة بالمعلقية من بر الهند إلى بر سيلان، وناج باري وشومطرة...» ومطلعها[٨] :

عزمت والعزم حميد في السفر

لاسيمّا من بلدة فيها ضرر

المراجع

١ـ ابن ماجد الملاح الفلكي، للدكتور محمد حسن العيدروس، ضمن كتاب: الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد، جـ١+٢، دار حوار،اللاذقية، ١٩٩١.

٢ـ تاريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي،ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الأولى بلجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ـ١٩٦٥، والطبعة الثانية بدار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٧.

٣ـ تراثنا بين ماض وحاضر، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،١٩٦٨.

٤ـ ثلاث أزهار في معرفة البحار، لأحمد بن ماجد، تحقيق الدكتور محمد منير مرسي، عالم الكتب،القاهرة،١٩٦٩.

٥ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده ج١+٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٧.

٦ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، جورج فاضلو حوراني، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٥٨ (تاريخ مقدمة الترجمة).

٧ـ الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، لشهاب الدين أحمد بن ماجد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النجدي، تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١.

٨ـ النونية الكبرى مع ست قصائد أخرى، نظم شهاب الدين أحمد بن ماجد، شرح وتحقيق حسن صالح شهاب، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٩٣.

المجلات

١ـ مجلة التراث العربي، دمشق، العدد ٢١، تشرين الأول ١٩٨٥.

٢ـ مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد ٦٨، الجزء الأول١٩٩٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net